

## أميرات مجلة «فوغ» يسطين على نضالات الناشطات الحقوقيات في السعودية

مضاوي الرشيد

في الخامس عشر من مايو / أيار، اعتقل النظام السعودي عدداً من الناشطات الحقوقيات اللواتي طالما طالبن منذ عام 1990 برفع الحظر المفروض على قيادة النساء للسيارات.

أخيراً، سوف تتمكن النساء من القيادة ابتداء من الرابع والعشرين من يونيو/ حزيران، وبهذه المناسبة نشرت وسائل الترويج السعودية صوراً لأول مجموعة من النساء وهن يستلمن رخص القيادة من المسؤولين. ولكن يبدو أن النظام السعودي يعطي حقوقاً بيد ويصادر حريات النساء باليد الأخرى.

### المنعطف السعودي الجديد

وكم يصب الملح في الجرح، نشرت مجلة «فogue أرابيا» صوراً التقطت بعنابة فائقة للأميرة هيفاء بنت عبد الله، ابنة الملك الراحل عبد الله، وهي جالسة في مقعد القيادة داخل سيارة باهظة الثمن، ترتدي البياض من الثياب وخلفها في الصورة مشهد كثبان الرمال، وذلك بهدف الترويج لقرب حلول ذلك اليوم العظيم الذي ستبدأ فيه النساء قيادة السيارات.

ما فعلته مجلة «فogue» لا يستغرب، وهي المجلة النسائية ذات الأوراق المصقوله التي قد يجهد المرء وهو يبحث في صفحاتها عن فقرة ذات معنى تستحق القراءة بينما تنتشر في كل أرجائها الصفحة تلو الأخرى الدعائيات التي تروج للبضائع الاستهلاكية الفاخرة. ليس مستغرباً أبداً أن تنشر هذه المجلة صورة حصرية للأميرة المذكورة دون أن يكون لذلك سياق ذو معنى.

تأتي الصورة ضمن المنعطف الجديد الذي تسلكه المملكة العربية السعودية، حيث شيدت البلاد كما لو كانت مرتعاً للثراء والانفتاح والازدهار الموعود.

تبهر النسوة في هذه الحكاية كصاحبات دور مركزي، حيث يقاس حسن الأوضاع في أي بلد من البلدان بقدرة النساء على الإنفاق، فتعتبر قدرتهن الشرائية مؤشراً من مؤشرات التمكين.

بفضل مثل هذه الدعاية السطحية يجري في العادة كنس حقهن الأساسي في العيش كمواطنات متساويات تحت البساط. ما من شك في أن مجلة «فogue» لا تعير أدنى اهتمام لهذه الحقوق، وإنما تهتم بالمظهر الذي

ينبغي أن تبدو فيه النساء حتى يتحقق التوازن مع اقتصاد الخدمة الذي يحتاج إلى وجوه جميلة تغطي على الفشل في توفير حياة كريمة لعموم الناس وفي توفير حد أدنى من الدخل، وفي ضمان الحرية من السيطرة والاضطهاد.

تروج مجلة «فوغ» لنوع من الثقافة الاستهلاكية بين النساء. وتعمل عادة على استدراجهن للانخراط في أنماط استهلاكية صارخة، أدوات التمكين فيها الأزياء ومواد الزينة والتجميل.

بينما تنهك قلة من النساء السعوديات في شراء البضائع الفاخرة من السوق السعودية، إلا أن وسائل التواصل الاجتماعي، ومن خلال أسماء مستعارة، تعج بالناشطات اللواتي أعنعن استيائهن من الصورة التي نشرت لفتاة «بياض الثلج» في الصحراء وهي جالسة في مقعد القيادة بينما لايزال سبع من النساء (الأقزام السبعة) مغيبات وراء القضبان في السجون السعودية.

ملكية تقدمية؟

لم يزل الترويج للأميرات التقدemيات جزءاً لا يتجزأ من الحكاية السعودية حول الملكية التقدemية، فمنذ إيجاد المملكة في عام 1933، جرى تقديم أخت الملك المؤسس، نورا، على أنها امرأة متعلمة وقوية ساندت شقيقها في بسط النفوذ السعودي على جزيرة العرب.

وعادة ما كان يأتي ذكر اسمها في «حروب الجهاد» التي شنها ابن سعود على سكان الجزيرة العربية ليعيدهم إلى الإسلام الصحيح، حيث كانت صحيحة القتالية «أخو نورا»، وهي صيحة يراد منها منحه الإلهام في مهمة تدجين سكان الجزيرة وفرض السيطرة عليهم.

كان لابد من إضفاء لمسة أنثوية على غاراته الذكورية المتعاقبة، بما يعطي الانطباع بأن الحروب التي أشعلت فتيتها إنما تستهدف حماية عرق نسائه بدأئ ذي بدء ثم أعراض النساء العربيات الأخريات. وفي عهد الملك فيصل، وجدت زوجته وطفة، وكذلك بناهـما - وخاصة لولوة وسارة - أمكنة لهن في هذه السردية بوصفهن رائدات في نشر التعليم وفي العمل الخيري لصالح النساء. ويعزى إدخال التعليم الجماعي للبنات أولاً إلى مبادراتهن وجهودهن، بما يحرر من مساعدة الرجال والنساء الذين طالبوا بفتح مدارس لتعليم البنات خلال النصف الأول من القرن العشرين.

تغطي فكرة الأميرات التقدemيات على كتابات جيل كامل من المفكرين من أمثال محمد عوض وأحمد السباعي وعبد الله القاسمي وسارة بوحميد، وسميرة خاشقجي، الذين طالبوا منذ وقت مبكر بتوفير التعليم للنساء. ومع توسيع نطاق الأعمال وانتشار الروح التجارية على المستوى العالمي، برزت أميرة الطويل، زوجة الوليد بن طلال، لتلعب دور «أميرة فوغ»، واستمرت على ذلك لما يقرب من عقد من الزمن كانت المجلة خلاله تنشر لها صوراً ومقابلات كانت توفر مادة شهية يقبل عليها المتصوروـن جوعاً للاطلاع على ومضـة من داخل الحياة الملكية الرغيدة.

أما الآن فقد غدت أميرة امرأة مطلقة، وزوجها ما زال يعاـني من تداعيات ما تعرض له من إهـانـات بالـغـةـ.

بعد اعتقاله داخل فندق الريتز في نوفمبر/تشرين الثاني الماضي.

## تقسيم العائلة

ولكن هناك أميرات آخريات غير محظوظات جذب اهتمام وسائل الإعلام، وهؤلاء تصفهن العائلة الملكية الحكومية عادة بالمتمردات أو المنشقات. ومن هؤلاء سيدة الأعمال بسمة بنت سعود، التي اشتهرت في وسائل الإعلام البريطانية باسم «أميرة آكتون»، حيث أن آكتون هو الحي الذي استقرت وعاشت فيه داخل مدينة لندن بعد أن غادرت المملكة العربية السعودية.

وهناك أيضاً شقيقات «أميرة ڤوغ» اللواتي يقال إنهن احتجزن رغماً عنهن من قبل الملك عبد الله وجردن من حرتيهن، بحسب ما تقوله أمهن الأردنية العنود الفايز، ابنة أحد الوزراء الأردنيين، والتي كانت قد قدمت هدية للملك ليتزوجها بينما كانت ماتزال في السادسة عشرة من عمرها.

بطبيعة الحال لم يستمر الزواج، وطلبت اللجوء في لندن تاركة بناها رهائن داخل القصر، بحسب ما صرحت به في مقابلة لها مع التلفزيون البريطاني.

لربما أراد ولـي العهد محمد بن سلمان تقديم هيفاء في صورة السائق الأولى في المملكة لتوجيه إهانة إلى شقيقها، الرئيس السابق للحرس الوطني السعودي متبع بن عبد الله، والذي وقع أيضاً احتجازه داخل فندق ريتز كارلتون مع الوليد. يلعب محمد بن سلمان بورقة تقسيم العائلة، حيث يهين البعض اعتقاله ويكرم البعض الآخر ترويجاً، حتى يستثمرون ويبددو قوتهم.

أما الناشطات الأخريات فيحظر عليهن التحدث إلى وسائل الإعلام حتى لا يزعمن بأنهن كان لهن دور في رفع الحظر عنقيادة السيارات. ولذلك، يواجه الصحفيون الذين ينهالوناليوم على المملكة العربية السعودية صعوبة فائقة في إيجاد امرأة يجرون معها مقابلة باستثناء تلك النسوة من خصصنهن الحكومة لتلك المهمة وكلفن بكيل المديح لولي العهد محمد بن سلمان، علماً بأن أي إشارة للعمل الذي قامت به الحركة النسوية يمكن أن ينجم عنه توجيه تهم التخابر مع كيانات أجنبية ثم الاعتقال.

## السطو على نضال النساء

إن النساء اللواتي سيستفدن من رفع الحظر الذي كان مفروضاً على قيادة النساء هن اللواتي ستتجددن يهرعن إلى العمل أو لإحضار الأطفال من المدرسة ويتكبدن مشقة القيادة في الطرق والشوارع المزدحمة بالمرور داخل مدينة الرياض، ولن تجدن يستعرضن للتمويل وراء عجلة القيادة وسطن كثبان الرمال لكي تنشر صورهن في مجلة مثل «ڤوغ».

وما من شك في أنهن سيجدن مشقة بالغة في القيادة في طرق صممت لتكون نسخة من المدن الأمريكية، بدلاً من أن تكون عاصمة مريحة للسائقين والمشاة على حد سواء. وسيتوجب عليهم البحث عن مسالك آمنة تعبر بهن ذلك الحيز الذكوري المهيمن على مدن المملكة إلى أن يصلن إلى وجهاتهن بسلام.

حقيقة ما فعلته مجلة «فوغ» ومعها الأميرات السعوديات هو أنهن سطون في واقع الأمر على نضالات النساء لصالح الدعاية القديمة المتتجدة حول «تقدمية» العائلة الملكية الحاكمة.

لقد تعود الرجال في السعودية على أن تقابل جهودهم في تحقيق التغيير والتقدم داخل المملكة بالإنكار، حيث يعزى كل النجاح وباستمرار للأمراء. والآن جاء دور الأميرات ليتحققن بالركب ويساركن في تهميش وإقصاء مساهمات النساء الآخريات.

والحق هو أن الأميرات السعوديات ما فتئن يقضين معظم الوقت في تنافس شرس فيما بينهن للاستئثار بالفرص المحدودة التي تتاح لهن للظهور المرتب مسبقاً في الحيز العام،وها قد جاءتهن الآن فرصة لمصادر نضال الناشطات السعوديات.

سوف يستمر نضال النساء السعوديات العاديّات، ولربما لن تردعهن أميرة «فوغ» المزبونة عن الاستمرار في خوض معركتهن الطويلة، والتي سيحرزن النصر فيها بكل تأكيد.

\* د. مضاوي الرشيد كاتبة وباحثة وأكاديمية بكلية «الاقتصاد والسياسة» بجامعة لندن.

المصدر | ميدل ايست آي - ترجمة عربي21